يكره مَنْ يُثْبِتهم، وحسَّن ذِكْرَهُ إظهارُ شرف الإيمان؛ ترغيبًا فيه.

واعلمْ: أنه قد يوصف الكلامُ بالإيجاز والإطناب باعتبار كثرة حروفه وقلَّتها، بالنسبة إلى كلامٍ آخَرَ مساوٍ له فى أصل المعنى؛ كقوله [من الطويل] :

يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُؤْدَدٌ ... وَلَوْ بَرَزَتْ فِى زِىِّ عَذْرَاءَ نَاهِدِ[1]

وقوله [من الطويل]:

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى ... إِذَا كَانَتِ الْعَلْيَاءُ فِى جَانِبِ الْفَقْرِ[2]

ويقربُ منه قولُهُ تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[3] وقولُ الحَمَاسى [من الطويل].

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ ... وَلَا يُنْكِرُونَ القَوْلَ حِينَ نَقُولُ[4]

الفَنُّ الثانى

عِلْمُ الْبَيَانِ

وهو عِلْمٌ يُعرفُ به إيرادُ المعنى الواحدِ، بطرقٍ مختلفةٍ، فى وضوحِ الدَّلالةِ عليه.

ودلالة اللفظ: إما على تمامِ ما وُضِعَ له، أو على جزئه، أو على خارج عنه. وتسمى الأولى وضعية، وكل من الأخيرتَيْنِ عقليَّة. وتختصُّ[5] الأولى بالمطابَقَة، والثانية بالتضمُّن، والثالثة بالالتزام. وشرطه اللزوم الذهنى ولو لاعتقادِ المخاطَبِ بعرفٍ عامٍّ أو غيرِه.

والإيرادُ المذكورُ لا يتأتَّى بالوضعية؛ لأن السامع إذا كان عالمًا بوضع الألفاظ لم

---

(١) البيت لأبى تمام.

(٢) البيت لأبى سعيد المخزومى.

(٣) الأنبياء: ٢٣.

(٤) البيت للسموأل اليهودى.

(٥) وفى بعض النسخ (وتقع).

يكنْ بعضُها أوضَح؛ وإلا لم يكنْ كل واحد منها دالاً عليه. ويتأتى بالعقلية؛ لجواز أن تختلف مراتبُ اللزوم في الوضوح.

ثم اللفظُ المرادُ به لازمُ ما وَضِعَ له: إن دلّت[1] قرينة على عدم إرادته، فمجازٌ؛ وإلاّ فكناية. وقُدِّمَ عليها؛ لأنّ معناه كجزء معناها، ثم منه ما يُبْنَى على التشبيه، فتعيَّن التعرُّض له، فانحصَرَ المقصودُ في الثلاثة: التشبيه، والمجاز، والكناية.

التشبيه

الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، والمراد -ههنا-[2] ما لم تكن على وجه الاستعارة التحقيقية، والاستعارة بالكناية، والتجريد؛ فدخل نحو: "زيدٌ أسد" وقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾[3]

والنظر -ههنا- في أركانه -وهي: طرفاه، ووجهه، وأداته- وفي الغرض منه، وفي أقسامه:

أركان التشبيه

طرفاه: إما حسِّيان؛ كالخدِّ والورد، والصوت الضعيف والهمس، والنَّكْهة والعنبر، والرِّيق والخمر، والجلد الناعم والحرير، أو عقليَّان؛ كالعلم والحياة، أو مختلفان؛ كالمنية والسَّبُع، والعطر وخُلُقٍ كريم.

والمراد بالحسي: المدرَكُ هو أو مادَّته -بإحدى الحواسِّ الخمس الظاهرة؛ فدخَلَ فيه الخياليُّ؛ كما في قوله[4] [من مجزوء الكامل]:

وَكَـــأنّ مُحْمَـــرَّ الشَّقِيـــــ ـــقِ إذَا تَصَـــوَّبَ أوْ تَصَـــعَّدْ

---

(١) وفي بعض النسخ (قامت).

(٢) أي بالتشبيه المصطلح عليه في علم البيان.

(٣) البقرة: ١٨٠.

(٤) البيت للصنوبري، المصباح ص١١٦؛ أسرار البلاغة ص١٥٨؛ والطراز ١/٢٧٥.

أَغْـــلامُ يَـــاقُوتٍ نُشِـــرْ نَ عَلَى رِمَـــاحٍ مِـــنْ زَبَرْجَـــدْ

وبالعقليِّ: ما عدا ذلك؛ فدخَلَ فيه الوهمي، أي: ما هو غيرُ مدرَكٍ بها[1]، ولو أدرك لكان مدرَكًا بها؛ كما في قوله[2] [من الطويل]

وَمَسْـــنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَـــابِ أَغْـــوَالِ

وما يدرك بالوِجْدان؛ كاللذة والألم.

ووجهُهُ: ما يشتركان فيه تحقيقًا أو تخييلاً؛ والمرادُ بالتخييلِ: نحوُ ما في قوله [من الخفيف][3]:

وَكَأَنَّ النُّجُـــومَ بَـــيْنَ دُجَاهَـــا سُـــنَنٌ لاَحَ بَيْـــنَهُنَّ ابْتِـــدَاعُ

فإنَّ وجهَ الشبهِ فيه هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياءَ مشرقةٍ بيضٍ في جوانبِ شيءٍ مظلمٍ أسوَدَ، فهي غيرُ موجودة في المشبَّه به إلا على طريق التخييل، وذلك أنه لما كانت البدعة -وكل ماهو جهل- تجعَلُ صاحبها كمن يمشي في الظلمة، فلا يهتدي للطريق، ولا يَأْمَنُ أن ينال مكروهًا شُبِّهَتْ بها، ولزم بطريق العكس: أن تشبه السنة- وكل ما هو علم- بالنور، وشاع ذلك حتى تُخُيِّلَ أن الثاني مما له بياض وإشراق؛ نحو: (أَتَيْتُكُمْ بالحَنِيفِيَّة البَيْضاءِ)[4].

والأول على خلاف ذلك؛ كقولك: شاهدْتُ سَوَادَ الكفرِ مِنْ جبين فلان؛ فصار تشبيهُ النجومِ بين الدجى بالسنن بين الابتداع، كتشبيهها ببياض الشَّيْب في سواد الشباب، أو بالأنوار مؤتلفةً بين النبات الشديد الخضرة؛ فعُلِمَ فسادُ جعله في قول

---

(١) أي بإحدى الحواس الخمس الظاهرة المذكورة.

(٢) شطر بيت لامرئ القيس ديوانه ص١٥٠، والإيضاح ص٣٣٦ صدره:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي

(٣) البيت للقاضي التنوخي، المصباح ص١١٠، والإيضاح ص٣٤٣، ونهاية الإيجاز ص١٩٠.

(٤) أخرجه أحمد بنحوه في المسند ٥/٢٦٦/ ولفظه "إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة" وأورد الشيخ الألباني نحوه في الصحيحة ح (١٧٨٢).

القائل: "النَّحْوُ فى الكلامِ كالمِلْحِ فى الطعام" كونَ القليلِ مصلِحًا والكثير مفسِدًا؛ لأن النحو لا يحتمِلُ القِلةَ والكثرة؛ بخلاف المِلْح.

وهو إما غير خارجٍ عن حقيقتهما؛ كما فى تشبيه ثوب بآخر فى نوعهما، أو جنسهما أو فصلهما. أو خارجٌ صفةٌ؛ إما حقيقيةٌ، وهى إما حسية كالكيفيات الجسمية مما يدرك بالبصر: من الألوان، والأشكال، والمقادير، والحركات، وما يتصل بها، أو بالسمع من الأصوات الضعيفة، و القوية، والتى بين بين، أو بالذَّوْق من الطعوم، أو بالشمِّ من الروائح، أو باللمس من الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، والخشونة والمَلاَسة، واللِّين والصلابة، والخفة والثقل، وما يتصل بها، أو عقليةٌ، كالكيفيات النفسانية: من الذكاء والعلم، والغضب والحلم، وسائر الغرائز. وإما إضافية؛ كإزالة الحجاب فى تشبيه الحجة بالشمس.

وأيضًا[1]: إما واحد، أو بمنزلة الواحد؛ لكونه مركَّبًا من متعدد، وكلٌّ منهما حسى، أو عقلى، وإما متعدد كذلك، أو مختلف:

والحسى طرفاه حسيان لا غير؛ لامتناع أن يُدْرَكَ بالحس من غير الحسى شيء. والعقلى أعم؛ لجواز أن يدرك بالعقل من الحسى شيء؛ ولذلك يقال: التشبيه بالوجه العقلى أعم.

فإنْ قيل: "هو مشترك فيه؛ فهو كلىٌّ، والحسى ليس بكلىٍّ":

قلنا: المرادُ أنَّ أفراده مدركة بالحِسِّ.

فالواحدُ الحسىُّ: كالحمرةِ، والخفاء، وطِيبِ الرائحة، ولذَّةِ الطَّعْمِ، ولين الملمس فيما مَرَّ.

والعقلىُّ: كالعراءِ عن الفائدة، والجُرْأةِ، والهداية، واستطابةِ النفس فى تشبيه وجود

---

(١) أى وجه التشبيه.

الشيءِ العديمِ النفعِ بعدمِهِ، والرجلِ الشجاعِ بالأسدِ، والعلمِ بالنورِ، والعطرِ بخُلُقٍ كريمٍ.

والمركَّب الحسى فيما طرفاه مفردان: كما فى قوله[1] [من الطويل]:

وَقَدْ لاَحَ فِي الصُّبْحِ الثرَيَّا كَمَا تَرَى ... كَعُنْقُودِ مُلاَّحِيَّةٍ حِينَ نَوَّرَا

من الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغارِ المقاديرِ فى المرأى، على الكيفية المخصوصة، إلى المقدار المخصوص.

وفيما طرفاه مركَّبان؛ كما فى قولِ بَشَّار[2] [من الطويل]:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا ... وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ

من الهيئة الحاصلة من هُوىٍّ أجرامٍ مشرقةٍ مستطيلة متناسبةِ المقدارِ متفرِّقةٍ، فى جوانبِ شيءٍ مُظْلِم.

وفيما طرفاه مختلفان؛ كما مَرَّ فى تشبيه الشقيق[3].

ومِنْ بديعِ المركَّب الحسىِّ: ما يجيء من الهيئات التى تقع عليها الحَرَكَةُ، ويكونُ على وجهين:

أحدهما: أن يُقْرَنَ بالحركةِ غيْرُهَا من أوصاف الجِسْم؛ كالشَّكْل واللون؛ كما فى قوله[4] [من الرجز]:

والشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ فِي كَفِّ الأَشَلْ.

---

(١) البيت لأبى قيس بن الأسلت أورده محمد بن على الجرجانى فى الإشارات ص١٨٠. والملاحية: عنب أبيض. ونور: تفتح.

(٢) ديوانه ٣١٨/١، والمصباح ١٠٦، ويروى (رءوسهم) بدل (رءوسنا).

(٣) وكتشبيه نهار مشمس قد شابه زهر الربا بليل القمر.

(٤) من أرجوزة لجبار بن جزء بن ضرار ابن أخى الشماخ؛ وبعده:

لَمَّا رأيتها بدت فوق الجبل

أورده وهو فى الإشارات للجرجانى ص١٨٠ والأسرار ص٢٠٧.

من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركةِ السريعةِ المتَّصلةِ مع تَمُّوج الإشراق، حتى يُرَى الشعاع كأنه يَهِمُّ بأن ينبسطَ حتى يَفيضَ من جوانب الدائرة، ثم يبدُوَ له، فيرجعَ إلى الانقباض.

والثانى: أن تُجرَّدَ الحركةُ عن غيرها؛ فهناك -أيضًا- لابد من اختلاط حركات إلى جهات مختلفة الحركة له؛ فحركة الرحى والسهم لا تركيب فيها، بخلاف حركة المصحف فى قوله [من المديد]:

وَكَأَنَّ البَرْقَ مُصْحَفُ قَارِئٍ فَانْطِبَاقًا مَرَّةً وَانْفِتَاحا[1]

وقد يقع التركيبُ فى هيئة السكون؛ كما فى قوله[2] فى صفة كَلْب [من الرجز]:

يُقْعِى جُلُوسَ الْبَدوىِّ الْمُصْطَلِى

من الهيئة الحاصلة من موقع كلِّ عضو منه فى إقعائه.

والعقليُّ: كحرمان الانتفاعِ بأبلغِ نافعٍ مع تحمُّل التعب فى استصحابه، فى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[3]

واعلم أنه قد ينتزع من متعدِّد، فيقعُ الخطأُ؛ لوجوب انتزاعه من أكثر؛ إذا انتزع من الشطر الأول من قوله [من الطويل]:

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةٌ فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ[4]

لوجوب انتزاعه من الجميع؛ فإنَّ المرادَ التشبيهُ باتصالِ ابتداءِ مُطْمِعٍ بانتهاء مؤيس.

والمتعدِّد الحسىُّ: كاللونِ، والطَّعْمِ، والرائحة، فى تشبيه فاكهةٍ بأخرى.

والعقليُّ: كحِدَّةِ النظر، وكمالِ الحَذَر، وإخفاء السِّفَاد، فى تشبيه طائر بالغراب.

---

(١) البيت لابن المعتز.

(٢)البيت للمتنبى، وبعده: بأربعٍ مجدولةٍ لم تُجْدَلِ

(٣) الجمعة: ٥.

(٤) أورده القزوينى فى الإيضاح ص٣٥٤، والطيبى فى شرحه على مشكاة المصابيح بتحقيقى ١٠٧/١.

والمختلفُ: كحُسْنِ الطلْعَةِ، ونَبَاهَةِ الشأن، فى تشبيه إنسان بالشمس.

واعلم: أنه قد يُنتَزَعُ الشبه من نفس التضادِّ؛ لاشتراك الضدَّيْن فيه[1]، ثم يرِدُ مترلةَ التناسُب بواسطةِ تلميح، أو تهكُّمٍ؛ فيقال للجبان: ما أشبَهَهُ بالأَسَدِ، وللبخيلِ: هو حاتمٌ.

وأداته: (الكاف)، و(كأنَّ)، و(مِثْل) وما فى معناها. والأصلُ فى نحو (الكاف): أن يليه المشبَّه به؛ وقد يليه غيرُهُ؛ نحوُ: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾[2]، وقد يذكر فعلٌ ينبئ عنه؛ كما فى: "عَلِمْتُ زيدًا أسدًا" إنْ قَرُب، و: "حَسِبْتُ..." إن بَعُد.

(الغرض من التشبيه)

والغرض من التشبيه -فى الأغلب- أن يعود إلى المشبَّه، وهو: بيانُ إمكانه؛ كما فى قوله[3] [من الوافر]:

فَإِنْ تَفُقِ الأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ... فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

أو حاله؛ كما فى تشبيهِ ثوبٍ بآخرَ فى السواد، أو مِقْدارِها؛ كما فى تشبيهه بالغراب فى شِدَّته، أو تقريرِها؛ كما فى تشبيهِ مَنْ لا يحصُلُ من سعيه على طائل بمَنْ يرقُمُ على الماءِ.

وهذه الأربعةُ تقتضى أنْ يكونَ وجهُ الشَّبَهِ فى المشبَّه به أتمَّ، وهو به أشهر.

أو تزيينه؛ كما فى تشبيه وجه أسودَ بمُقْلَةِ الظبى، أو تشويهِه؛ كما فى تشبيه وجه مجدورٍ بسَلْحةٍ جامدةٍ قد نَقَرَتْها الدِّيَكةُ.

أو استظرافِه؛ كما فى تشبيه فحمٍ فيه جَمْرٌ موقدٌ، ببحرٍ من المسك مَوْجُهُ الذهب،

---

(١) أى فى التضاد.

(٢) الكهف: ٤٥.

(٣) البيت للمتنبى من قصيدة يرثى فيها والد سيف الدولة، ديوانه ١٥١/٣، والإشارات ص١٨٧.

لإبرازه فى صورة الممتنع عادة.

وللاستظرافِ وجهٌ آخر، وهو: أن يكون المشبَّهُ به نادرَ الحضورِ فى الذهن: إما مطلقًا؛ كما مر.

وإما عند حضور المشبه؛ كما فى قوله [من البسيط][1]:

وَلاَ زَوَرْدِيَّةٍ تَزْهُو بِزُرْقَتِهَا ... بَيْنَ الرِّيَاضِ عَلَى حُمْرِ الْيَوَاقِيتِ

كَأَنَّهَا فَوْقَ قَامَاتٍ ضَعُفْنَ بِهَا ... أَوَائِلُ النَّارِ فِى أَطْرَافِ كِبْرِيتِ

وقد يعودُ إلى المشبَّه به، وهو ضربان:

أحدهما: إيهام أنه أتم من المشبه؛ وذلك فى التشبيه المقلوب؛ كقوله[2] [من الكامل]:

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ... وَجْهُ الخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

والثانى: بيانُ الاهتمام به؛ كتشبيه الجائع وجهًا كالبدرِ فى الإشراق، والاستدارةِ بالرغيف؛ ويسمَّى هذا إظهارَ المطلوب.

هذا إذا أريد إلحاقُ الناقص -حقيقةً أو ادعاءً- بالزائد، فإن أريد الجمع بين شيئين فى أمر: فالأحسنُ ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه؛ احترازًا من ترجيح أحد المتساويين؛ كقوله [من الطويل]:

تَشَابَهَ دَمْعِى إِذْ جَرَى وَمُدَامَتِى ... فَمِنْ مِثْلِ مَا فِى الْكَأْسِ عَيْنِى تَسْكُبُ

فَوَاللهِ، مَا أَدْرِى أَبِالْخَمْرِ أَسْبَلَتْ ... جُفُونِى أَمْ مِنْ عبْرَتِى كُنْتُ أَشْرَبُ[3]

ويجوزُ التشبيهُ -أيضًا- كتشبيهِ غُرَّة الفرس بالصبح، وعكسِه، متى أريد ظهورُ مُنِيرٍ فى مظلِمٍ أكثرَ منه.

---

(١) البيتان لابن المعتز، أوردهما الطيبى فى التبيان ٢٧٣/١ بتحقيقى، والعلوى فى الطراز ٢٦٧/١. واللازوردية: البنفسجية، نسبة إلى اللازورد، وهو حجر نفيس.

(٢) البيت لمحمد بن وهيب، الإشارات ص١٩١، والطيبى فى شرح المشكاة ١٠٨/١ بتحقيقى.

(٣) البيتان لأبى إسحاق الصابى فى الإشارات ص١٩٠، الأسرار ص١٥٦.

وهو باعتبار طرفَيْه:

إمَّا تشبيهُ مفرَدٍ بمفرد، وهما غير مقيَّدَيْنِ؛ كتشبيه الخد بالورد. أو مقيَّدان؛ كقولهم: هو كالراقم على الماء. أو مختلفان؛ كقولهم [من الرجز]:

وَالشَّمْسُ كَالْمرْآة فى كَفِّ الأَشَلّ[1]

وعكسِه[2].

وإمَّا تشبيهُ مركَّب بمركب؛ كما فى بيت بَشَّار[3].

وإما تشبيهُ مفرَدٍ بمركَّب؛ كما مرَّ فى تشبيه الشقيق.

وإما تشبيه مركَّب بمفرد؛ كقوله [من الكامل]:

يَا صَاحِبَىَّ تَقَصَّيَا نَظَرَيْكُمَا ... تَرَيَا وُجُوهَ الأَرْضِ كَيْفَ تُصَوَّرُ

تَرَيَا نَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ شَابَهُ ... زَهْرُ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ[4]

وأيضًا: إنْ تعدَّد طرفاه:

فإما ملفوفٌ؛ كقوله[5] [من الطويل]:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا ... لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

أو مفروقٌ؛ كقوله[6] [من السريع:]

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَا ... نِيرٌ وَأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

وإن تعدَّد طرفه الأول: فتشبيهُ التسوية؛ كقوله [من المجتث]:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) كتشبيه المرآة فى كف الأشلّ بالشمس.

(٣) يعنى قوله: كأن مثار النقع فوق رُءُسِنَا * وأسيافَنَا لَيلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ

(٤) البيتان لأبى تمام من قصيدة يمدح فيها المعتصم، ديوانه ١٩٤/٢، والإشارات ص١٨٣.

(٥) البيت لامرئ القيس فى ديوانه ص٣٨، والإشارات ص١٨٢.

(٦) البيت للمرقش الأكبر ربيعة بن سعد بن مالك، والعنم: شجر لين الأغصان. الإشارات ص١٨٢، والأسرار ص١٢٣.

صُدْغُ الْحَبِيبِ وَحَالِى كِلاَهُمَا كَاللَّيَالِى

وإنْ تعدَّد طرفُهُ الثانى: فتشبيه الجمع؛ كقوله[1] [من السريع]:

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ مُنَضَّدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحْ

وباعتبار وجهه:

إمّا تمثيلٌ[2]، وهو ما وجهه منتزَعٌ من متعدِّد؛ كما مر[3]، وقيده السكاكى بكو. غير حقيقي؛ كما فى تشبيه مَثَلِ اليهودِ بمثل الحمار.

وإمَّا غيرُ تمثيلٍ، وهو بخلافه.

وأيضًا: إمَّا مجمل، وهو ما لم يُذْكَرْ وجهه: فمنه: ما هو ظاهرٌ يفهمه كلُّ أحد؛ نحو: "زيد كالأسد"، ومنه: خفى لا يدركه إلا الخاصَّةُ؛ كقول بعضهم: "هم كالحَلْقة المُفْرَغة لا يُدْرَى أين طرفاها؟!" أى: هم متناسبون فى الشرفِ كما أنها متناسبةُ الأجزاء فى الصورة.

وأيضًا: منه: ما لم يُذْكَرْ فيه وصف أحد الطرفَيْن، ومنه: ما ذُكِرَ فيه وصف المشبَّه به وحده، ومنه: ما ذكر فيه وصفهما؛ كقوله[4] [من البسيط]:

صَدَفْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِفْ مَوَاهِبُهُ عَنِّى وَعَاوَدَهُ ظَنِّى فَلَمْ يَخِبِ

كَالْغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَافَاكَ رَيِّقُهُ وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِى الطَّلَبِ

وإما مفصَّل، وهو ما ذُكِرَ فيه وجهه؛ كقوله [من المجتث]:

وَثَغْرُهُ فِى صَفَاءٍ وَأَدْمُعِى كَاللآلِي

---

(١) البيت للبحترى، وفى ديوانه: (كأنما يضحك) بدلاً من (كأنما يبسم)، والبيت من قصيدة يمدح فيها عيسى بن إبراهيم، ديوانه ٤٣٥/١، والإشارات ص١٨٣.

(٢) السيد يعتبر التركيب فى طرفيه أيضًا، والسعد لا يعتبر ذلك، والزمخشرىّ يجعل التمثيل مرادفًا للتشبيه، وعبدالقاهر يقيد التشبيه بالعقلى.

(٣) من تشبيه الثريا، وتشبيه مثار النقع مع الأسياف، وتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل.

(٤) البيت لأبى تمام فى ديوانه ١١٣/١ من قصيدة يمدح فيها الحسن بن سهل، ريّقه: أفضله.

وقد يتسامح بذكر ما يتتبعه مكَانُه؛ كقولهم للكلام الفصيح: "هو كالعَسَل فى الحلاوة"؛ فإنَّ الجامع فيه لازِمُها، وهو مَيْل الطبع.

وأيضًا: إما قريبٌ مبتَذلٌ وهو ما ينتقل من المشبَّه إلى المشبَّه به من غير تدقيق نظر؛ لظهور وجهه فى بادى الرأي؛ لكونه أمرًا جُمْلِيًّا؛ فإنَّ الجُمْلة أسبَقُ إلى النفس. أو قليلَ التفصيلِ مع غلبة حضور المشبَّه به فى الذهن: إما عند حضور المشبَّه؛ لِقربِ المناسبة؛ كتشبيه الجَرَّة الصغيرة بالكُوزِ، فى المقدار والشكل. أو مطلقًا؛ لتكرُّره على الحس؛ كالشمس بالمرآة المجلوَّة فى الاستدارة والاستنارة؛ لمعارضة كُلٍّ من القُرْب والتفصيل.

وإما بعيدٌ غريب، وهو بخلافِه؛ لعدم الظهور: إما لكثرةِ التفصيلِ؛ كقوله: والشمسُ كالمرآة، أو ندورِ حضور المشبَّه به: إمَّا عند حضور المشبَّه؛ لبعد المناسبة؛ كما مر. وإمّا متظلقًا؛ لكونه وهميًّا، أو مركبًا خياليًّا، أو عقليًّا؛ كما مر. أو لقلّة تكرُّره[1] على الحس؛ كقوله: والشمسُ كالمرْآة؛ فالغرابةُ فيه من وجهين[2].

والمراد بالتفصيل: أن تنظر فى أكثرَ مِنْ وصف، ويقع على وجوه، أعرَفُها: أن تأخذ بعضًا، وتدَعَ بعضًا؛ كما فى قوله[3] [من الطويل]:

حَمَلْتُ رُدَيْنِيًّا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَخْتَلِطْ بِدُخَانِ

وأن تعتبر الجميعَ؛ كما مَرَّ من تشبيه الثريا. وكلّما كان التركيبُ من أمور أكثرَ، كان التشبيهُ أبعَدَ. والبليغُ: ما كان مِنْ هذا الضَّرْبِ لغرابته، ولأنَّ نيلَ الشيء بعد طلبه أَلَذُّ.

---

(١) أى المشبه به.

(٢) أحدهما كثرة التفصيل فى وجه الشبه، والثانى قلة التكرر على الحس.

(٣) البيت لامرئ القيس وليس فى ديوانه، الإشارات ص١٩٦، ويروى (يتصل) بدلاً من (يختلط). الرديني: الرمح منسوب لامرأة تسمى ردينة اشتهرت بصناعة الرماح.

وقد يتصرف فى القريب بما يجعله غريبًا؛ كقوله[1] [من الكامل]:

لَمْ تَلْقَ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا ... إِلاَّ بِوَجْهٍ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ

وقوله[2] [من الكامل]:

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِبًا ... لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أُفُولُ

ويسمَّى هذا: التشبيهَ المشروطَ.

وباعتبار أداته: إما مؤكَّد، وهو ما حُذِفَتْ أداته؛ مثلُ قولِه تعالى: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[3]، ومنه نحوُ [الكامل]:

وَالرِّيحُ تَعْبَثُ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى ... ذَهَبُ الأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ

أو مرسل، وهو بخلافه؛ كما مر.

وباعتبارِ الغرض:

إما مقبولٌ، وهو الوافى بإفادته؛ كأنْ يكون المشبَّهُ به أعرفَ شيء بوجه الشبه فى بيان الحال. أو أتمَّ شيء فيه فى إلحاق الناقصِ بالكامل. أو مسلَّمَ الحكمِ فيه معروفَهُ عند المخاطب فى بيان الإمكان.

أو مردودٌ؛ وهو بخلافه.

خاتمة

أعلى مراتبِ التشبيه فى قوّة المبالغة باعتبارِ ذِكْرِ أركانِه أو بعضِها: حذفُ وجهِه وأداتِه فقطْ، أو مع حذف المشبَّه، ثم حَذْفُ أحدهما كذلك[4]، ولا قُوَّةَ لغيرهما[5].

---

(١) البيت للمتنبى.

(٢) البيت للوطواط، فى الإشارات ص١٩٨، والثواقب: السواطع، والأفول: الغروب.

(٣) النمل: ٨٨.

(٤) أى فقط أو مع حذف المشبه به.

(٥) وهما الاثنان الباقيان، أعنى ذكر الأداة والوجه جميعًا، إما مع ذكر المشبه أو بدونه.

وقد يقيدان باللغويَّيْن:

الحقيقة: "الكلمةُ المستعملةُ فيما وُضِعَتْ له، فى اصطلاحِ التخاطُب"؛ والوضعُ: تعيينُ اللفظ للدَّلالَة على معنى بنَفْسِه؛ فخَرَجَ المجاز؛ لأنَّ دلالتَهُ بقرينة، دون المشتَرَك[1]، والقولُ بدلالة اللفظ لذاته[2] ظاهره فاسدٌ، وقد تأوَّله السكاكي[3].

والمجاز: مفرَدٌ، ومركَّب:

أما المفرد: فهو الكلمةُ المستعملةُ فى غير ما وضعت له فى اصطلاحِ التخاطُب، على وجه يَصِحُّ، مع قرينة عدم إرادته، ولابدَّ من العلاقة؛ ليخرج الغلط والكناية. وكلٌّ منهما[4]: لغويٌّ، وشرعيٌّ، وعرفى خاصٌّ أو عامٌّ؛ كـ "أَسَد" للسَّبُع و الرجلِ الشجاع؛ و"صَلاَة": للعبادةِ المخصوصة والدُّعَاءِ، و"فِعْل" لِلَفْظِ والحدث، و"دابَّة" لذى الأربعِ والإنسان.

---

(١) فإنه لم يخرج لأنه قد عين للدلالة على كل من المعينين بنفسه، وعدم فهم أحدهما بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافى ذلك به.

(٢) وهو قول عباد بن سليمان الصيمرى، وأتباعه.

(٣) ذكر الخطيب فى "إيضاحه" تأويل السكاكى لهذا القول، حيث ذكر هناك تفسيرًا له، قال الخطيب -بعد ردّه هذا القول من وجوه-: "وتأوَّله السكاكى -رحمه الله- على أنه تنبيه على ما عليه أئمة علْمَى الاشتقاق والتصريف، من أن للحروف فى أنفسها خواصَّ بها تختلف، كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة والتوسُّط بينها، وغير ذلك، مستدعيةً أنْ العالِمَ بها إذا أحد فى تعيين شيء منها لمعنًى لا يهمل الناسب بينهما، فصاغ لمعنى الحكمة، كـ "القصْم" - بالقاف الذى هو حرف رخو-: لكسر الشيء من غير أن يبين، و"القَصْم" بالقاف الذى هو حرف شديد-: لكسر الشيء حتى يَبِينَ" وأنَّ للتركيبات -كـ "الفَعَلان" و"الفَعَلى" بالتحريك؛ كالسَّرَوَان والْحَيَدى، و"فَعُل" مثل: شَرُف، وغير ذلك-: خواصَّ أيضًا، فيلزم فيها ما يلزم فى حروف. وفى ذلك نوع تأثر لأنفس الكلم فى اختصاصها بالمعانى" أهـ. انظر الإيضاح: (ص٢٤٤ بتحقيقنا).

(٤) أى من الحقيقة والمجاز.

والمجازُ: مرسَلٌ إنْ كانت العلاقةُ غيرَ المشابَهة؛ وإلاَّ فاستعارةٌ.

وكثيرًا ما تطلَقُ الاستعارةُ على استعمالِ اسمِ المشبَّه به فى المشبَّه؛ فهما[1]: مستعارٌ منه، ومستعارٌ له، واللفظُ مستعارٌ.

المجاز والمرسل

والمُرْسَلُ كـ"اليد": فى النِّعمْة والقدرة، و"الراوية": فى المزادة.

ومنه: تسميةُ الشيء باسم جزئه؛ كالعين فى الربيئة[2]، وعكسُه؛ كالأصابع فى الأنامل.

وتسميته[3] باسم سببه؛ نحوُ: رعينا الغَيْثَ، أو مسبَّبه؛ نحو: أمطرَت السماءُ نباتًا، أو ما كان عليه؛ نحو: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾[4]، أو ما يَئُولُ إليه؛ نحوُ: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[5]، أو محلِّه؛ نحوُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾[6]، أو حالِّه؛ نحو: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾[7] أى: فى الجنة. أو آلتِه؛ نحو: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾[8] أى: ذكرًا حسنًا.

الاستعارة

والاستعارة قد تقيد بالتحقيقيّة؛ لتحقق معناها[9] حسًّا أو عقلاً؛ كقوله [من

---

(١) أى المشبه والمشبه به.

(٢) وهى الشخص الرقيب.

(٣) أى: تسمية الشيء.

(٤) النساء: ٤.

(٥) يوسف: ٣٦.

(٦) العلق: ١٧.

(٧) آل عمران: ١٠٧.

(٨) الشعراء: ٨٤.

(٩) أى المشبه.

الطويل]:

لَدَى أَسَد شَاكى السِّلاح مُقَذَّف[1]

أى: رجلٍ شجاع، وقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[2] أى: الدِّينَ الحَقَّ.

ودليلُ أنها مجازٌ لغوىٌّ: كونُها موضوعةً للمشبَّه به، لا للمشبَّه، ولا للأعمِّ منهما.

وقيل: إنها مجازٌ عقلى بمعنى: أن التصرُّف فى أمرٍ عقلىٍّ لا لغوى؛ لأنها لما لم تطلقْ على المشبَّه، إلا بعد ادِّعَاءِ دخولِه فى جنس المشبَّه به. كان استعمالُهَا فيما وُضِعت له؛ ولهذا صَحَّ التعجُّب فى قوله[3] [من الكامل]:

قَامَتْ تُظَلِّلُنى مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي

قَامَتْ تُظَلِّلُنى وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنى مِنَ الشَّمْسِ

والنهى عنه قوله [من المنسرح]:

لاَ تَعْجبُوا مِنْ بِلَى غِلاَلَتِه قَدْ زَرَّ أَزْرَارَهُ عَلَى الْقَمَرِ[4]

وردَّ: بأن الادعاء لا يقتضى كونَها مستعمَلةً فيما وُضِعَتْ له، وأمَّا التعجُّب، والنهى عنه: فللبناء على تناسى التشبيه؛ قضاءً لحقِّ المبالغة.

والاستعارة: تُفارِقُ الكذبَ: بالبناءِ على التأويل، و نصبِ القرينة على إرادة خلافِ الظاهر.

ولا تكونُ عَلَمًا؛ لمنافاته الجنسيَّة، إلا إذا تضمَّن نوعَ وصفيَّة؛ كحاتم.

---

(١) لزهير فى ديوانه ص٢٣، من معلقته المشهورة التى يمتدح فيها الحارث بن عوف، وهرم بن سنان وتمام البيت: له لبد أظفاره لم تقلم وفى المصباح ١٣٧، والطراز ٢٣٢/١.

(٢) الفاتحة: ٥.

(٣) البيتان لابن العميد، نهاية الإيجاز ص٢٥٢، والطراز ٢٠٣/١، والمصباح ص١٢٩.

(٤) البيت لابن طباطبا العلوى، وهو أبوالحسن محمد بن أحمد، الطراز ٢٠٣/٢، نهاية الإيجاز ص٢٥٣ ،والمصباح ص١٢٩.

وقرينتها: إما أمرٌ واحد؛ كما فى قولك: "رأيتُ أسدًا يرمِى"، أو أكثرُ؛ كقوله[1] [من الرجز]:

فَإِنْ تَعَـافُوا الْعَـدْلَ وَالإِيمَانَـا فَـإِنَّ فِـى أَيْمَانِنَـا نِيرَانَـا

أو معان ملتئمةٌ، كقوله[من الطويل]:

وَصَاعِقَةً مِنْ نَصْلِهِ تَنْكَفِى بِهَـا عَلَى أَرْؤُسِ الأَقْرَانِ خَمْسُ سَحَائِبِ[2]

وهي[3] اعتبار الطرفَيْنِ قسمان؛ لأنَّ اجتماعَهما فى شيء: إمَّـا ممكـنٌ؛ نحـو: ﴿أَحْيَيْنَاهُ﴾ فى قوله: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[4] أى: ضالاً فهديناه، ولْتُسَمَّ وِفاقيَّـةً. وإما ممتنعٌ؛ كاستعارة اسم المعدومِ للموجودِ؛ لعدم غَنَائِه، وَلْتُسَمَّ عِنَاديَّـةً، ومنـها[5] التهكُّمية والتمليحيَّة، وهما ما استعمل فى ضدِّه أو نقيضِه؛ لما مر؛ نحـوُ: ﴿فَبَشِّـرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[6].

وباعتبار الجامع قسمان؛ لأنه: إما داخلٌ فى مفهوم الطرفَيْنِ؛ نحو: (كُلَّمـا سَـمِعَ هَيْعَةً، طَارَ إِلَيْهَا[7])؛ فإن الجامع بين العَدْوِ والطيران: هو قطعُ المسافة بسرعة[8]، وهو

---

(١) تعافوا: تكرهوا. نيرانًا؛ أى سيوفنا تلمع كأنها النيران.

(٢) البيت للبحترى ديوانه ١٧٩/١، الطراز ٢٣١/١/١٣، ورواية الديوان:

وصاعقة من كفه ينكفى بها على أرؤس الأعداء خمس سحائب. ويريد بخمس سحائب: الأنامل.

(٣) أى الاستعارة.

(٤) الأنعام: ١٢٢.

(٥) أى من العنادية.

(٦) التوبة: ٣٤.

(٧) جزء من حديث أخرجه مسلم فى "صحيحه"" كتاب الإمارة" باب: فضل الجهاد والرباط (٥٥٣/٤)، ط. الشعب، وأوله: "من خير معاش الناس لَهُمْ رجل....".

(٨) سقطت من المطبوع من (متن التلخيص) واستدر كناها من شروح التلخيص (٨١/٤) ط دار السرور - بيروت لبنان.

داخلٌ فيهما؛ وإما غيرُ داخلٍ، كما مر[1].

وأيضًا: إمَّا عاميَّة، وهى المبتذلةُ؛ لظهور الجامع فيها؛ نحو: رأيتُ أسدًا يرمى؛

أو خاصيَّة، وهى الغريبة، والغرابةُ قد تكونُ فى نفس المشبَّه؛ كقوله[2] [من الكامل]:

وَإذا احْتَبَى قَرَبُوسَهُ بِعِنَانِهِ عَلَكَ الشَّكِيمَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ

وقد تحصل بتصرف فى العاميَّة؛ كما فى قوله [من الطويل]:

وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِىِّ الأَبَاطِحُ[3]

إذْ أَسْنَدَ الفعلَ إلى الأباطح دون المَطِى أو أعناقها، وأَدْخَلَ الأعناقَ فى السير.

وباعتبار الثلاثة[4] ستة أقسام؛ لأن الطرفَيْن إنْ كانا حسيَّيْنِ، فالجامع إمَّا حسيٌّ؛ نحو: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً﴾[5]؛ فإنَّ المستعار منه ولَدُ البقرة، والمستعار له الحيوانُ الذى خلقه الله تعالى من حلى القِبْط، والجامع لها الشكل؛ والجميع حسىٌّ.

وإما عقليٌّ؛ نحو: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾[6]؛ فإنَّ المستعار منه كَشْطُ الجِلْدِ عن نحو الشاة، والمستعار له كشفُ الضوءِ عن مكان الليل، وهما حِسِّيَّان، والجامعُ ما يعقَلُ من ترتُّب أمر على آخر.

وإما مختلف؛ كقولك: "رأيتُ شمسًا" وأنت تريد إنسانًا كالشمس فى حسن الطلعة، ونباهة الشأن.

---

(١) من استعارة الأسد للرجل الشجاع.

(٢) البيت لمحمد بن يزيد بن مسلمة. فى الإشارات ص٢١٦. القربوس: مقدم السرج. علك: مضغ. الشكيم: الحديدة المعترضة فى فم الفرس.

(٣) البيت لكثير عزة الإشارات ص٢١٧، وصدره: أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا.

(٤) أى المستعار منه والمستعار والجامع.

(٥) طه: ٨٨.

(٦) يس: ٣٧.

وإلا[1] فهما إمَّا عقليان؛ نحو: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾[2]؛ فإنَّ المستعار منه الرقاد، والمستعار له الموت، والجامع عدمُ ظهورِ الفعل؛ والجميعُ عقليٌّ.

وإمَّا مختلفان، والحسى هو المستعارُ منه، نحو: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[3]؛ فإنَّ المستعار منه كسر الزجاجة، وهو حسيٌّ، والمستعار له التبليغُ، والجامع التأثيرُ؛ وهما عقليان، وإمَّا عكسُ ذلك؛ نحوُ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[4]؛ فإن المستعار له كثرةُ الماءِ؛ وهو حسيٌّ، والمستعار منه التكبُّر، والجامع الاستعلاء المفرط؛ وهما عقليان.

وباعتبار اللفظ قسمان؛ لأنه إنْ كان اسمَ جنسٍ فأصليَّةٌ؛ كأسدٍ وقتلٍ، وإلا فتبعيَّةٌ[5]؛ كالفعل، وما اشتقَّ[6] منه، والحرف:

فالتشبيه فى الأولين[7] لمعنى المصدَرِ، وفى الثالث[8] لمتعلَّق معناه[9]؛ كالمجرور فى: (زيدٌ فى نِعْمة)؛ فيقدَّر فى: (نَطَقَتِ الحالُ) و: (الحالُ ناطقةٌ بكذا): للدَّلالة بالنُّطْق، وفى لامِ التعليل؛ نحو: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[10]: للعداوةِ والحَزَنِ بعد الالتقاطِ، بعلَّته الغائية.

ومدارُ قرينتها فى الأولين على الفاعلِ؛ نحو: "نطقَتِ الحالُ بكذا"، أو المفعولِ؛ نحوُ: [من الرمل]:

---

(١) أى: وإن لم يكن الطرفان حسيين.

(٢) يس: ٥٢.

(٣) الحجر: ٩٤.

(٤) الحاقة: ١١.

(٥) أى: وإن لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس فالاستعارة تبعية.

(٦) وفى نسخة: (وما يشتق منه)، والمراد به اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة.

(٧) أى: الفعل وما يشتق منه.

(٨) أى: الحرف.

(٩) وهو مثلاً الابتداء فى "من".

(١٠) القصص: ٨.

قَتَــلَ الْبُخْــلَ وَأَحْيَــا السَّــمَاحَا

ونحوُ[1] [من البسيط]:

نَقْــريهمُ لهْــذميَّات نَقُــدُّ بهَــا

أو المجرور؛ نحوُ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2].

وباعتبار آخر ثلاثةُ أقسام:

مُطْلَقة: وهى ما لم تُقْرَنْ بصفةٍ ولا تفريغٍ، والمراد[3]: المعنويةُ، لا النعتُ النحوىّ.

ومجرَّدة: وهى ما قُرِنَ بما يلائمُ المستعارَ له؛ كقوله[4] [من الكامل]:

غَمْرُ الرِّدَاء إِذَا تَبَسَّــمَ ضَــاحِكًا غَلِقَتْ لضحْكَته رِقَــابُ المَــالِ

ومرشّحة: وهى ما قُرِنَ بما يلائمُ المستعارَ منه؛ نحوُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[5].

وقد يجتمعان فى قوله[6] [من الطويل]:

لَدَى أَسَدٍ شَاكِى السِّلَاحِ مُقَذَّفٍ لَــهُ لِبَــدٌ أَظْفَــارُهُ لَــمْ تُقَلَّــمِ

والترشيحُ أبلَغُ؛ لاشتمالِه على تحقيقِ المبالغة، ومبناه على تناسِى التشبيهِ، حتَّى إنــه يبنى على علوِّ القدر ما يبنى على علوِّ المكان؛ كقوله[7] [من المتقارب]:

وَيصْعَدُ حَتَّى يَظُــنَّ الْجَهُــولُ بِأَنَّ لَهُ حَاجَــةً فِــى السَّــمَاءِ

---

(١) البيت للقطامى. اللهذم: السنان القاطع. القد: القطع.

وعجز البيت:

ما كان خاط عليهم كل زراد. سرد الدرع وزردها: نسجها.

(٢) التوبة: ٣٤.

(٣) أى: المراد بالصفة.

(٤) البيت لكثير.

(٥) البقرة: ١٦.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) البيت لأبى تمام، ديوانه ص٣٢٠، والمصباح ١٣٨، والإشارات ص٢٢٥.

ونحوُهُ: ما مرَّ من التعجُّبِ والنهى عنه؛ وإذا جاز البناءُ على الفرع مع الاعتـــرافِ بالأصلِ- كما فى قوله[1] [من المتقارب]:

هِى الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِى السَّمَاءِ فَعَـــزَّ الْفُـــؤَادَ عَـــزَاءً جَمِـــيلاَ
فَلَنْ تَسْـــتَطِيعَ إِلَيْهَـــا الصُّـــعُودَا وَلَـــنْ تَسْـــتَطِيعَ إِلَيْـــكَ النُّـــزُولاَ

فمع جَحْدِهِ[2] أولى.

المجاز المركَّب

وأما المركَّب: فهو اللفظ المستعَملُ فيما شبِّه بمعناه الأصلّى تشبيهَ التمثيلِ؛ للمبالغة؛ كما يقال للمتردِّد فى أمر: "إنِّى أراك تقدِّمُ رِجْلاً، وتؤخِّرُ أخرَى"، وهذا التمثيل على سبيل الاستعارة، وقد يسمَّى التمثيلَ مطلقًا، ومتى فشا استعمالُهُ كذلك، سمِّى مَـــثَلاً؛ ولهذا لا تُغَيَّرُ الأمثالُ.

[فصل] [3]

قد يُضْمَرُ التشبيهُ فى النفس؛ فلا يصرَّح بشيء من أركانه سوى المشـــبَّه، ويُـــدَلُّ عليه: بأنْ يُثْبَتَ للمشبَّه أمرٌ يختَصُّ بالمشبَّه به، فيسمَّى التشبيهُ اســـتعارةً بالكنايـــة، أو مكنيًّا عنها، وإثباتُ ذلك الأمر للمشبَّه استعارةً تخييليةً؛ كما فى قول الهُذَلِيِّ[4] [مـــن الكامل]:

وإذا المنيّةُ أَنشَـــبتْ أَظْفارَهـــا أَلْفَيْتَ كلَّ تَميمـــةٍ لا تنْفَـــعُ

شبّه المنيّة بالسبُع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة، من غير تفرقةٍ بين نفّاعٍ وضرّارٍ،

---

(١) البيتان لعباس بن الأحنف ديوانه ص٢٢١، والمصباح ١٣٩، وأسرار البلاغة ١٦٨/٢.

(٢) أى المشبه.

(٣) فى بيان الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية.

(٤) أورده محمد بن على الجرجانى فى الإشارات ص٢٢٨، والهُذَلِى هو أبوذؤيب، خويلد بن خالد بن محرث شاعر مخضرم، والبيت من قصيدة له يرثى فيها بنيه، وقد هلكوا فى عام واحد، مطلعها:

أمن المنون وريبها تتوقّعُ * والدهر ليس بمعتب من يجزعُ

فأثبت لها الأظفارَ التى لا يحمل ذلك فيه بدونها، وكما فى قول الآخر[1]:

وَلَئِنْ نَطَقْتُ بِشُكْرِ برِّكَ مُفْصِحًا فَلِسَانُ حَالِى بِالشِّكَايَةِ أَنْطَقُ

شبَّه الحالَ بإنسان متكلِّم فى الدَّلالة على المقصود؛ فأثبَتَ لها اللسانَ الذى به قِوامُها فيه. وكذا قولُ زُهَيْرٍ[2] [من الطويل]:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهْ وَعُرِّىَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُهْ

أراد أن يبيِّن أنه ترَكَ ما كان يرتكبه زمَنَ المحبَّة من الجهل، وأعرَضَ عن معاودتِه فبطَلَتْ آلاته، فشبَّه الصِّبَا بجهة من جهات المَسير؛ كالحَجِّ و التجارة، قضَى منها الوطَرَ؛ فأُهْمِلَتْ آلاتُها، فأثبَتَ لها الأفراسَ والرواحلَ، فالصِّبا من الصَّبْوة بمعنى الميل إلى الجهلِ والفُتُوَّة؛ ويَحتمِلُ أنه أراد بالأفراسِ والرواحلِ: دواعى النفوسِ، وشهواتِهَا، والقُوَى الحاصلةَ لها فى استيفاء اللذات، أو الأسبابَ التى قلَّما تتآخذ[3] فى اتباع الغى، إلا أوانَ الصِّبَا؛ فتكونُ الاستعارة تحقيقيةً.

فصل

عرَّف السكاكى الحقيقةَ اللغويةَ بالكلمةِ المستعملةِ فيما وُضِعَتْ له، من غير تأويلٍ فى الوضع؛ واحترَزَ بالقيد الأخير عنْ الاستعارة، على أصح القولين؛ فإنها مستعملة فيما وُضِعَتْ له بتأويل.

وعرَّف المجازَ اللُّغوى بالكلمةِ المستعملةِ فى غير ما وُضِعَتْ له بالتحقيق، فى اصطلاح به التخاطُبُ، مع قرينةٍ مانعة عن إرادته، وأتى بقيد "التحقيق"؛ لتدخُلَ

---

(١) البيت لمحمد بن عبدالله العتبى، وقيل: لأبى النضر بن عبدالجبار، أورده محمد بن على الجرجانى فى الإشارات ص٢٢٨.

(٢) لزهير فى ديوانه ص١٢٤، والطراز ٢٣٣/١، والمصباح ١٣٢.

(٣) فى (متن التلخيص) و(ط) الحلبى: (تأخذ).

الاستعارة؛ على ما مَرَّ.

ورُدَّ: بأن الوضع إذا أُطْلِقَ لا يتناول الوضعَ بتأويل، وبأنَّ التقييدَ باصطلاح التخاطُبِ لابُدَّ منه فى تعريف الحقيقة.

وقسَّم المجازَ اللغوى إلى الاستعارة وغيرِها. وعرَّف الاستعارة بأنْ تَذْكُرَ أحدَ طرفَى التشبيه، وتريدَ به الآخَرَ، مدَّعِيًا دخولَ المشبَّهِ فى جنس المشبَّه به. وقسَّمها إلى المصرَّحِ بها، والمكنى عنها.

وعنى بالمصرَّحِ بها: أن يكونَ المذكورُ هو المشبَّهَ به، وجعَلَ منها تحقيقيَّةً، وتخييليَّةً: وفسَّر التحقيقيَّة بما مَرَّ، وعَدَّ التمثيلَ منها:

ورُدَّ: بأنه[1] مستلزِمٌ للتركيبِ المنافى للإفراد.

وفسَّر التخييلية بما لا تحقُّق لمعناه حسًّا ولا عقلاً، بل هو صورةٌ وهميَّةٌ محضة؛ كلفظ "الأظفارِ" فى قول الهُذَلِيِّ[2]؛ فإنه لَمَّا شبَّه المنيَّه بالسَّبُعِ فى الاغتيال، أخذ الوهم فى تصويرها بصورتِهِ واختراعِ لوازمِهِ لها، فاخترَعَ لها صورةً مثل الأظفار، ثم أطلَقَ عليها لفظَ الأظفار:

وفيه تعسُّف، ويخالفُ تفسير غيره لها بجعلِ الشيء للشيء، ويقتضى أن يكونَ الترشيحُ تخييليَّة؛ للزومِ مثلِ ما ذَكَرَهُ فيه.

وعنى بالمكنِّى عنها: أن يكونَ المذكورُ هو المشبَّهَ، على أن المراد "لمنيّة" السُّبُعُ؛ بادعِّاءِ السَّبُعية لها؛ بقرينة إضافة الأظفارِ إليها.

ورُدَّ: بأن لفظ المشبَّه فيها مستعَملٌ فيما وضع له تحقيقًا، والاستعارةُ ليست كذلك، وإضافةُ نحو (الأظفار) قرينةُ التشبيه.

---

(١) أى التمثيل.

(٢) يشير إلى قول أبى ذؤيب الهذلى فى عَيْنِيَّته المشهورة:

وإذا المنيةُ أنشَبَتْ أظفارَهَا * ألفَيْتَ كُلَّ تميمةٍ لا تنفَعُ

واختار رَدَّ التبعيَّةِ إلى المكنِّى عنها، بجعل قرينتها مكنيًّا عنها، والتبعيَّةِ قرينَتَهَا، على نحوِ قوله فى المنية وأظفارها.

ورُدَّ: بأنه إنْ قدَّر التبعيةَ حقيقةً، لم تكنْ تخييليةً؛ لأنها مجاز عنده، فلم تكن المكنىُّ عنها مستلزمةً للتخييلية؛ وذلك باطل بالاتفاق؛ وإلاَّ فتكون استعارةً، فلم يكنْ ما ذهب إليه مُغْنِيًا عما ذكرَهُ غيرُهُ.

فصل

حسن كل من التحقيقيَّةِ والتمثيلِ: برعاية جهاتِ حسن التشبيه، وألاَّ يُشَمَّ رائحتُهُ لفظًا؛ ولذلك يوصَّى أن يكون الشبه بين الطرفين جليًّا؛ لئلا يصيرَ إلغازًا؛ كما لو قيل: "رأيتُ أسدًا" وأُرِيدَ إنسانٌ أبخَرُ، و"رَأَيْتُ إِبِلاً مِائَةً لا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً"[1]، وأريد الناسُ.

و بهذا ظهر: أن التشبيه أعمُّ مَحَلاًّ، ويتصل به أنه إذا قَوِى الشبه بين الطرفَيْنِ حتى اتحدا -كالعِلْمِ والنور، والشُّبَّهْة والظلمة- لم يَحسُنِ التشبيهُ، وتعيَّنت الاستعارة.

والمكنى عنها -كالحقيقيةِ، والتخييليةِ- حسنُها بحسب حُسْنِ المكنى عنها.

فصل

وقد يطلق المجازُ على كلمة تغيَّرَ حكمُ إعرابها بحذف لفظ أو زيادة لفظ؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[2]، ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4]

---

(١) قال ﷺ "إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة" أخرجه البخارى عن ابن عمر، كتاب الرقاق باب رفع الأمانة، ومسلم ك فضائل الصحابة وابن ماجه وأحمد.

(٢) الفجر: ٢٢.

(٣) يوسف: ٨٢.

(٤) الشورى: ١١.

أى: أَمْرُ ربِّك، وأهلَ القريةِ، وليس مثلَهُ شيءٌ.

(الكناية)

الكنايةُ: لفظٌ أريدَ به لازمُ معناه، مع جواز إرادته معه؛ فظهَرَ أنها تخالف المجازَ من جهة إرادة المعنى الحقيقى لِلَّفْظِ مع إرادةِ لازمه. وفُرِّقَ: بأن الانتقالَ فيها من اللازمِ، وفيه من الملزوم: ورُدَّ: بأنَّ اللازمَ ما لم يكنْ ملزومًا لم يُنْتَقَلْ منه؛ وحينئذ: يكون الانتقالُ من الملزوم [إلى اللازم][1].

وهى ثلاثةُ أقسام:

الأولى: المطلوبُ بها غيرُ صفةٍ ولا نِسْبة:

فمنها: ما هى معنًى واحدٌ؛ كقوله [من الكامل]:

وَالطَّاعنينَ مَجَامعَ الأَضْغَان[2]

ومنها: ما هو مجموعُ معانٍ؛ كقولنا -كنايةً عن الإنسان-: "حَى مستوِى القامةِ، عريضُ الأظفار".

وشرطهما الاختصاصُ بالمكنِّى عنه.

والثانية: المطلوبُ بها صفةٌ:

فإنْ لم يكن الانتقالُ بواسطةٍ:

فقريبةٌ واضحةٌ؛ كقولهم -كنايةً عن طول القامة: "طويلٌ نجادُهُ، و"طويلُ النجاد"، والأولى ساذَجة، وفى الثانية تصريحٌ مَّا، لتضمُّن الصفة الضمير، أو خفيةٌ؛ كقولهم -كناية عن الأبله-: "عريضُ القفا".

وإن كان بواسطة: فبعيدةٌ؛ كقولهم: "كثير الرماد" كنايةً عن المِضْياف؛ فإنه يُنْتَقَلُ من كثرة الرماد إلى كثرة إحراقِ الحطب تحت القدور، ومنها إلى كثرة الطبائخ، ومنها

---

(١) من شروح التلخيص.

(٢) أورده محمد بن على الجرجانى فى الإشارات ص٢٤٠، وصدره: الضاربين كل أبيض مخذم.